فقد ذكر انه قتل اكثر من مايه الف صبرا اخرهم سعيد بن جبير رضي الله عنه ومات في
حبسه اكثر من عشرين الف لم تجب على احد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل
صيفا وشتاء ولبس فيه والناس بعضهم على بعض ومر يوما عليهم فاستغاثوا به فقال
اخسئوا فيها ولا تكلمون   وقال ابو عمرو بن العلا كنت اقرا الاس اعرف غرفة بالفتح
وبلغ الحجاج وكان يقرا بالضم فطلبني فهربت الى وادي بصنعا فاقمت زمانا فسمعت اعرابيا يقول
لاخر قد مات الحجاج فقال الاعرابي ربما تجزع النفوس من الامر لها فرجة كحل العقال
فلم ادر باي شي كنت اشد فرحا بموت الحجاج ام بسماع البيت استشهد به على القرا
وحكي بعض القرا قال قرا الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر ايقول عمل ام عمل
فقال ابنوني بقاري فاتي بي وقد قام من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن
بعد ستة اشهر فلما انتهى الي قال فيم حبست قلت في ابن نوح اصلح الله الامير
وحكي انه اراد سفرا فصعد المنبر فقال اني قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمدا
واوصيته خلاف ما اوصى به العبد الصالح ان لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم
الا واني اعلم انكم تقولون لا احسن الله له الصحابة الا واني معجل لكم الجواب فاقول لا احسن
الله عليكم الخلافة   وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فاجد كلبا
نايما في ظل حب فقلت في نفسي ليتني كنت الكلب وكنت مستريحا من خوف الحجاج ومررت
ثم عدت من ساعتي فاجد الكلب مقتولا فسالت عنه فقيل جا امر الحجاج بقتل الكلاب
فعجبت من عموم جوره   واما حلمه فحكي انه خرج يوما الى ظاهر الكوفة
منفردا فراى رجلا فقال له ما تقول في اميركم قال الحجاج قال نعم فقال زعموا انه من ثمود
وكفى بسوء سيرته شرا فعليه لعنة الله فقال الحجاج اتعرفني قال لا قال انا الحجاج فقال الرجل
اتعرفني ايها الامير قال لا قال انا مولى بني عامر اجن في شهر ثلاثة ايام هذا اليوم اشدها
فضحك من قوله وصفح عنه   واتي بقوم من اصحاب ابن الاشعث فامر بضرب
اعناقهم فقام رجل فقال ايها الامير ان لي عندك يدا قال وما هي قال شتمك رجل بحضرة
ابن الاشعث فرددت عنك فقال من يشهد لك فقال هذا واشار بيده الى رجل منهم فقال صدق
ايها الامير فقال ما منعك ان تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج اطلقوا هذا ليده عندنا
وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت   وقال يوما لاحمد بن يونس فكرت في امرك فوجدت

دمك

دمك وما لك حلالا فقال ايها الامير اشد ما في القضية ان هذا الراي بعد الفكر فضحك
وعفا عنه   وكان عنده يوما بعض ندمايه وقد ادركته سنة فعطس عطسة منكرة
ففزع الحجاج وقام مغضبا وقال ما اردت بهذه العطسة الا ان تروعني فقال ايها الامير هذه
والله عادتي فقال والله ان لم تاتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد
بعض اصحابه فقص عليه الامر فقال انا اشهد لك فدخلا على الحجاج فقال الصاحب بم تشهد
قال ايها الامير اشهد انه عطس يوما عطسة وقع منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى وقال
حسبك وامر بهما فاخرجا وكان قليل الضحك الا ان يغلب عن نفسه واما فصاحته وبلاغته
فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى
المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رايت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنيعه
الى اهل العراق وسوء صنيعهم له حتى يخيل لي انه مظلوم   وقال الحسن البصري لقد وقذتني
كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرا ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير
بان تطول حسرته   وخطب يوما فقال ايها الناس قدعوا هذه الانفس فانها اسال شي اذا اعطيت
واعطى شي اذا سيلت فرحم الله امرا جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة
الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رايت الصبر على محارمه ايسر من الصبر على عذابه
وبلغه وفاة اخيه وابنه فصعد المنبر وقال محمدان في يوم اما والله ما كنت احب انهما
معي في الدنيا بما ارجو لهما من ثواب الاخرة وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم ان يفنى
والجديد ان يبلى وسيدال الارض منا فتاكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما اكلنا من ثمارها
وشربنا من انهارها   وخطب يوما فقال ان الله امرنا بالعمل وكفانا الرزق فليتنا لو
امرنا بالرزق وكفينا العمل   وقال ايها الناس والله ما احب ان ما مضى من الدنيا
بعمامتي هذه ولما بقي منها اشبه بما مضى من الماء بالماء   ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكا
فصعد الحجاج المنبر فقال الا ان ابن الزبير كان من احبار هذه الامة حتى رغب في الخلافة
ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شي مانعا للعصاة لمنعت ادم حرمة
الجنة لان الله تعالى خلقه بيده واسجد له ملايكته واباحه جنته فلما عصاه اخرجه
منها بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اعظم حرمة من الكعبة
وخطب يوما فقال ايها الناس من اعياه داوه فعندي دواه   ومن ثقل عليه راسه وضعت

Copyright © King Saud University